

وعلى أية حال، فقد أُرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى إحدى الوسائل الهامة للتغلب على ظاهرة قلة البركة التي تعاني منها البشرية جمعاء فى وقتنا الحالى، وهى أن يبدأ الإنسان فى ممارسة عمله وأنشطته فى وقت مبكر وذلك كما جاء فى الحديث الشريف: «بورك لأمتى فى بكورها» (الطبرانى فى الأوسط، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٢٨٤١).

وبالإضافة إلى تلك الوسيلة الإنمائية للوقت، فإن هناك مجموعة أخرى من التوجيهات التى يمكن استنباطها من خلال التعرف على الدور التنظيمى والتوجيهى الذى تقوم به العبادات لوقت الإنسان وهو ما سوف يتم تناوله بمزيد من التفصيل فى جزء لاحق وشيك. ومع هذا، فهناك مجموعة من القواعد العامة التى تضمنها التوجيه الإسلامى لترشيد عملية قضاء الوقت واستغلاله بأفضل صورة ممكنة. وذلك ما يمكن التعرف عليه فى الجزئين التاليين.

٢/٣: بعض القواعد العامة لترشيد استغلال الوقت ولتعظيم منفعته: استكمالاً لما تقدم، نود توجيه تساؤل هاماً إلى العلماء الماديين وغيرهم من العامة الذين يمرّون بالأحداث وبمحطات الحياة بتلقائية سطحية يعوزها التأمل والتدبر: ألم يلاحظوا بعد أن العالم قد أصبح تسوده الآن - وبالفعل - ظاهرة تقارب الأوقات الزمنية؛ وازدياد ذلك التقارب مع كل يوم يمر من عمر البشرية؟! الواقع أن الدلائل تشير إلى اليقظة البشرية المتزايدة التى أصبحت تعبر عن انتباهها لحدوث تلك

الظاهرة المقلقة بل والمخيفة، وذلك من خلال بعض المقولات التي أصبحت شائعة على ألسنة كثير من الناس مثل قول (الوقت لم يعد فيه بركة) أو قول (رمضان كأنه انتهى بالأمس .. كيف عادة ثانية بتلك السرعة؟!).

لقد قصدنا بذلك الاستدراك أن نؤكد على ضرورة الإدراك الكافي بأن الوقت قد أصبح عنصراً اقتصادياً متزايد الندرة، ويكاد لا يكفي لتحقيق كل ما يطمح إليه الإنسان، بل ولتوفير كل احتياجاته التي تمكنه من الثبات والبقاء في دنيا المتغيرات اللاهثة التي أصبحنا نعيش في ظلها - أو بالأصح- ننحصر داخل أسوارها الشائكة حيث تزداد معاناة الدول النامية والصغيرة من تلك المشكلة أكثر من غيرها نتيجة لعدم إدراكها لكيفية الاستخدام الرشيد للمتاح لها من وقت سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو على مستوى المجتمع ككل.

وعلى أية حال، فما زالت هناك بوارق أمل تنعش آمالنا في استدراك ما فاتنا من وقت مهدر وضائع بمحاولة تعظيم منافع وقتنا الحالى والمستقبلى وجنى ثمار إيجابية تعويضية لما خسرناه من قبل، وتمثل بوارق الأمل المذكورة - فى جانب منها- فى مجموعة القواعد العامة التى يمكن استنباطها من الأصول الشرعية النموذجية والاستعانة بها فى تعظيم المنفعة الاستغلالية لعنصر الوقت المتاح. وفيما يلي بعض من تلك القواعد العامة، والمهمة.

أولاً: توخى الحرص التام على استغلال كل لحظة متاحة للإنسان
فى أى عمل مفيد:

ولا يقصد بذلك العمل التكسبى فقط، وإنما المقصود بذلك
العمل المفيد أنه ذلك العمل الذى (يتضمن إضافة إيجابية مضمونة
للإنسان فى دنياه أو أخراه) والعمل المفيد يعتبر فى الواقع رباعى
الأبعاد حيث يقوم على تقوية البدن وتقوية الروح وتقوية العقل
وتحسين الحالة المعنوية.

ومن الأشكال التى يمكن أن تمثل أعمالاً مفيدة، تلك التى تساعد
على إعداد الجسم والنفس للقيام بالأعمال المعيشية وتحسين مستويات
أدائها وتدريبها على تحقيق ذلك الهدف مثل ممارسة رياضات
مفيدة، والحصول على قدر كاف ومناسب من النوم. وإعداد وتناول
الطعام والشراب المناسبين، والتداوى الوقى أو الكافى عند الحاجة.
وبالإضافة إلى تلك الأمثلة من الأشكال التى تنطوى على فوائد نفعية
ذاتية للمرء، فهناك أشكال أخرى من الأعمال المفيدة للغير التى
يمكن - فى غالبية الأحوال- أن ترتد بمنافعها على ذات المرء فى دنياه
وأخراه أيضاً مثل مساعدة الغير على قضاء حوائجهم والوفاء
بمقتضيات صلة الرحم. وسوف يتم الحديث عن أشكال أخرى من
تلك الأعمال المفيدة فى الجزء المتعلق بالعبادات كمنظم لوقت الإنسان
وذلك فى جزء لاحق وشيك إن شاء الله.

وعلى العكس مما سبق، فلا بد من تجنب - ما أمكن - التعرض للوقت العقيم أو الوقت الصفرى، والحذر الشديد من الوقوع في شرك الوقت السلبي. حيث نقصد بالوقت العقيم أو الصفرى ذلك الوقت الذى يتاح للإنسان أو الذى يمر من عمر الإنسان بدون القيام فى خلاله بأى عمل مفيد - على النحو الموضح سابقاً - وبالتالي فإن الإنسان يظلم نفسه بعدم استغلال ذلك الرزق الذى منحه له إياه بما قد يمكنه من إضافة المزيد من المنافع إلى رصيده الدنيوى أو الأخرى حيث يمكن أن نستقرئ ذلك المعنى من الحديث الشريف: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (عن ابن عباس: البخارى، الترمذى، ابن ماجه، فى صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٦٧٧٨). أما الوقت السلبي فينطوى على آثار أكثر خطورة يمكن أن تؤدى إلى الإضرار بالإنسان بدرجات متفاوتة يمكن أن تصل إلى هلاكه وتدميره التام، وذلك مثل قضاء الوقت فى تعاطى المخدرات أو فى إقامة علاقات محرمة مع الآخرين، أو فى ارتكاب أى شكل من أشكال الانحراف التى لا تعد ولا تحصى. بل إن الوقت السلبي المنذر بالإضرار بصاحبه يمكن أن يتمثل فى عدم اتخاذ موقف إيجابى حيال معصية ظاهرة تصدر أمام المرء من الغير أو فى مجرد العزوف عن مساعدة الآخرين فى استرداد حقوقهم أو فى تجاهله لواجبات أداء حوائج الناس التى تتطلب المساعدة (مع توافر المقدرة على ذلك) حيث يتضح ذلك من قول رسول الله ﷺ: «لا بأس، ولنصر الرجل

أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه، فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره» (عن جابر، مختصر مسلم، ١٨٣٢) كما يقول الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (عن أبي سعيد، مختصر مسلم، ٣٤).

أما عن وجوب قضاء حوائج الآخرين فيتضح من قول الرسول ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه. ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» (عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، مختصر مسلم ١٨٣٠). وتتأكد أهمية ردع الظالم حتى للغير، وسوء عاقبة من لا يفعل ذلك على الرغم من قدرته عليه من قول النبي ﷺ: «إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه. أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» (عن ابن بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، سنن داود الترمذى وابن ماجه، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج١، ١٩٧٣).

أما الدلائل الشرعية المباشرة على حتمية الاستمرارية في القيام بأعمال إيجابية وعدم الانقطاع عنها بقدر الإمكان فنجدها على سبيل المثال في الحديث النبوي الذي أُرشدنا إليه سابقاً: «لا تزول قدم عبدٍ حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيما فعل به.

وعن ماله من أين اكتسبه، وعن جسمه فيم أبلاه» (سنن الترمذى، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٧٣٠٠ - ٢٥٣١).

كما أن هناك حديثاً آخرأ يؤكد على حتمية بهومة العمل الإيجابى خاصة فيما يتعلق بإعمار الأرض وبتحسين أحوال البشر والمخلوقات الأخرى، حتى إن كان ذلك فى آخر لحظات عمر الإنسان وإشرافه على الموت، بل حتى ولو تيقن للإنسان أن هناك دماراً سيلحق بالكون مثلما سيحدث فى يوم القيامة حيث إن العبرة هنا أن الإنسان بمحدودية علمه وقدراته لا يستطيع أن يتيقن من لحظة النهاية الفعلية للكون، كما أنه عندما يقوم بتلك الأعمال الإيجابية بدون انقطاع، إنما يفيد نفسه بالدرجة الأولى وذلك بزيادة حسناته من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الإنسان سيعتث على آخر وضع كان عليه، من أجل هذا دائماً ما يفضل للمرء أن يداوم أيضاً على الدعاء بحسن الخاتمة. وفى ذلك يرشدنا التوجيه النبوى بالحديث الشريف: «إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها» (أحمد بن حنبل، البخارى فى الأدب، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ١٤٢٤).

ثانياً: من أجل تقليل الفاقد من الوقت المتاح حالياً إلى أدنى مستوى ممكن:

جرت العادة البشرية على تأثر السلوكيات والقرارات والإنجازات الجارية للإنسان ليس فقط بمجريات الأمور والمتغيرات

الحالية، بل أيضاً يمتد هذا التأثير إلى ما انقضى فى الماضى من أحداث ومتغيرات حتى إن لم يكن لها علاقة بتلك الأمور الحالية، وفى غالبية الأحوال يمتد ذلك التأثير إلى أحداث المستقبل ومتغيراته غير المؤكدة.

وقد يكون الماضى مفيداً فى إتاحة صور واضحة عن تجارب كاملة حدثت بالفعل مما يساعد المرء على الاستنارة بما تتضمنه من دروس مستفادة، وعلى الاقتداء بالجوانب الإيجابية الكامنة فى تلك التجارب وتجنب جوانبها السلبية التى تغنيه عن تكرار الوقوع فى مثل تلك الأخطاء التى اتضحت بالفعل من التجارب الماضية، وكذا، تدينه الوقت لإصلاح الآثار السيئة لمثل تلك الأخطاء. وبكلمات أخرى، فإنه يمكن للإنسان أن يلتفت إلى أحداث الماضى وتجاربه فقط بوصفها تجارب إرشادية تعليمية تدرّبية تساعد المرء على تحسين أسلوب الاستغلال الحالى للوقت. أما أن يحرص الإنسان على العيش فى تجارب الماضى والإصرار على إدخالها برمتها فى تسيير أمور حياته فذلك لا يقبل من وجهة النظر الاقتصادية ولا المنطقية لأنه يتناقض مع مقتضيات التطور والتغير التى تتطلبها الأحداث المعاصرة، كما أن ذلك قد يعرض الإنسان للوقوع فى براثن الكمون فى مواطن الخطأ والاستقرار بين شباكها المدمرة بدليل أن كثيراً من الآيات الكريمة دائماً تشير إلى خطأ إتباع ما كان يفعله الآباء طالما كان ضد الأحكام الإلهية والأمور المنطقية الصحيحة، ومن بين الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ

لَهُمْ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانِ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ (لقمان: ٢١).

أما عن المستقبل، فمن الطبيعي أن يعمل الإنسان له حساباً فى
خططه وإنجازاته ولكن يجب أن يكون ذلك على أساس من الاستتارة
بالتجارب الماضية وبتناجها المتكاملة خاصة للأفراد وللدول التى
انقضت أعمارها وأصبحت نتائج تجاربها نهائية فى إطار الأوضاع
والمفاهيم والأهداف الدنيوية فقط مع أعمال المعايير والأدوات
العقلانية والعلمية التى يمكن أن تساعد على ترشيد وضع الخطط
المستقبلية الموجهة لمجالات حياة الإنسان المختلفة. غير أن تلك الخطط
يجب أن تؤخذ كصور إرشادية متحركة ذات وجوه واحتمالات
متعددة ويرفض تماماً أن يتم اعتبارها مناهج تنفيذية نهائية جامدة
بسبب بسيط ومنطقي تماماً وهو أن الإنسان لا يعلم الغيب ولا يعلم
أى شئ عن المستقبل.. فالاستقبال بيد الله وحده.

وبناء على ما سبق، فإنه من أجل ترشيد استغلال الوقت الحالى
المتاح للإنسان وتدنية الفاقد فيه إلى أقل قدر ممكن، فإنه يجب أن يراعى
أمرين بالغى الأهمية:

١- عدم الالتفات إلى الماضى إلا مجرد الاستتارة بالدروس الفعالة
التى تفيد فى إنجازات الحاضر: وأفضل دليل توجيهى وسند قوى يدعم
صحة ذلك الجانب الموصى به هو قول الرسول ﷺ: «المؤمن القوى
خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، إحرص على ما

ينفعلك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شئ فلا تقل: لو أنى فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أحمد بن حنبل. مختصر مسلم، ١٨٤٠؛ ابن ماجه، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٦٦٥-٢٢٧٦).

٢- عدم السماح لسيطرة المستقبل بما ينطوى عليه من عموض ومخاوف أو أوهام هلامية على الإنجازات والقرارات الحالية ولأن المستقبل بيد الله وحده وفي إطار علم الله سبحانه فقط، فالأفضل هو بذل كل ما يستطيع المرء أن يقوم به في حدود إمكانياته وقدراته الحالية؛ بما تسمح به الأحكام الشرعية الغراء (التوكل على الله) تاركاً النتائج المستقبلية على الله فهو وحده سبحانه صاحب القرار الحقيقي في شأنها. وبكلمات أخرى يجب على الإنسان التوكل الحقيقي على الله والبعد التام عن التواكل الذي يوقعه في برائن التخلف والتدمير البشري الذاتى.

وفي ذلك نجد دليلاً نبوياً توجيهاً موجزاً ورائعاً، فعن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «أعقلها وتوكل» (حسن، صحيح الجامع الصغير وزيادته، مع ١، ١٠٦٨).

كما أن هناك حديثاً آخر شاملاً لكيفية استفادة الإنسان بالإنجازات الحالية وكيفية توظيفها واستثمارها بما يضمن تعظيم الثمار والمنافع المرجوة فى المستقبل الذى لا يملكه ذلك الإنسان، ويتضح

ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم: «اغتمم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، و فراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج ١، ١٠٧٧).

والواقع أن ذلك الحديث الشريف يمكن أن يمثل منهاجاً وقائياً فعالاً ضد المخاطر المستقبلية المجهولة وما تكتفه من مخاوف، وبكلمات أخرى، أنه يمكن أن يمثل دليلاً فعالاً لتمتع الإنسان بمشاعر الأمان والأمان ومساعدته في تدنية كثير من الوقت الضائع في التفكير في مخاوف المستقبل وما يكتفه من مجهول دائماً يلقي بظلاله الثقيلة على حياة الإنسان فيعرقل إنجازاته الحالية وقد يشل كثيراً من نشاطاته الفعالة ويوقعه في برائن الاحباط والاستسلام السلبي لمجريات الأحداث المنذرة بالدمار.. وما أكثر تواجدها في وقتنا الحالي.

والخلاصة أن على الإنسان ألا يفكر في الماضي فقد ولى، ولا يفكر في المستقبل فإنه مازال في علم الله، ولكن الأفضل هو توجيه كل التركيز والاهتمامات والطاقات إلى لحظات الحاضر فقط التي يملك الإنسان معرفتها، وإدارتها والاستفادة منها.

ويمكن أن نخلص مما سبق بقاعدة موجزة إرشادية لكيفية تدنية الفاقد من الوقت (أو الوقت الضائع) والتي تتمثل في الكلمات الآتية:

إنس الماضي فقد ولى ولا تتذكر منه سوى نسامته
ولا تفكر فى المستقبل طالما لا تعرف أين أنت من نفعاته
وعش فقط لحظتك ووجه إليها كل الأنا ... وطاقتها
وفى ذلك قال أحد الشعراء أيضاً:

ما مضى فات والمؤمل غيب

ولك الساعة التى أنت فيها

**ثالثاً: وقت النهار للخروج والعمل الدنيوى، والمساء والليل
للاستقرار بالمنزل والنوم وللتعب:**

اعتاد بعض الناس أن يناموا فى فترة النهار، ثم يستيقظوا طوال
الليل، وذلك للقيام بأعمال تتطلب هدوءاً أو تتطلب قلة حركة من
الآخرين مثل الاستذكار والقيام بأعمال التأليف والأعمال الذهنية
الأخرى؛ والقيام بأعمال إصلاحات فى الشوارع والطرق التى
يصعب تنفيذها فى فترة النهار تجنباً لتعطيل المصالح.

غير أن هناك فئات أخرى من الناس تعتبر الليل وقتها الأفضل.
والطبيعى لممارسة أنشطتها غير المشروعة فى خلاله، استتاراً بظلمته.
وبهدأة الأقدام البشرية التى تدب خارج أماكن السكن وما فى
حكمها، ولو اذناً بغفلة العيون المستغرقة فى نوم عميق بعد مشقة نهار
كادح. ومن الأمثلة على تلك الأنشطة الليلية المشبوهة والمنحرفة.

العمل في دور اللهو الليلية، أو في حالات السطو أو في كثير من أشكال الأعمال غير القانونية الأخرى.

ولقد دلنا المنهاج الإسلامي القويم على قاعدة عامة دقيقة بالغة الوضوح في كيفية التخصيص البشري المناسب للوقت المتاح، وتوزيعه بكفاءة على الاستخدامات والأنشطة المختلفة. وتقوم تلك القاعدة على أساس القيام بالعمل وبالحركة الدنيوية والمعيشية نهاراً والنوم والقيام والتعبد ليلاً، وبكلمات أخرى، فإنه من المفضل القيام بالأنشطة المادية المرتبطة بالمصالح البشرية في أثناء النهار، بينما يتم تخصيص فترة الليل لاستعادة شحن الطاقة الروحية وتدعيم الصلة والتواصل بالله وحده عز وجل، حيث أن ذلك هو الأسلوب الأمثل لتحقيق الاسترخاء المستهدف وتجديد النشاط الذي أصيب بالإرهاك من جراء اللهات المعيشي المادي والدنيوي في فترة النهار.

كما يحذر الدين الإسلامي بتوجيهاته التي لا تحتمل أى شبهة خطأ، من خروج الناس خارج منازلهم ليلاً حيث تنشط الشياطين والمخلوقات الضارة وتنتشر في الطرقات الخارجية المظلمة الهادئة، وحيث ينتشر أيضاً أشرار الناس ومنحرفوهم أيضاً وذلك احتماء بظلمة الليل وهدأته التي يتسم بها بطبيعته.

وقبل تقديم الأدلة الشرعية على ذلك، نسارع فنرد على صيحات اعتراض لابد أن تصدر من أحزاب اعتادت المعارضة كمبدأ وليس لضرورة مقنعة—فنحن نتوقع أن تتعالى بعض الصيحات

مستكرة ربط حال اليوم (الذى تنتشر فيه المصايح الكهربائية والإضاءات الليلية المبهرة فتحيل الطرق إلى نهار ساطع): بالأمس الذى لم تكن مثل تلك الوسائل المستحدثة للإضاءة متوافرة فيه خاصة كما كان الحال فى العهد الإسلامى الأول. ولكننا نرد بأن الإسلام نزل لكل زمان ولكل مكان، والله الذى أنزله كنبراس نهتدى بأحكامه وتوجيهاته يعلم جيداً ما سوف يحدث من تطورات. فعلى الرغم من تلك الأضواء الليلية المبهرة، فما زالت تمثل أمراً مصطنعاً لا يمكن أن يضاهى طبيعة أنوار الشمس وأشعتها الطبيعية التى تكشف كل الأمكنة بدون أن تترك للمخلوقات الشريرة أو المنحرفة فرصة للاختباء أو للتخفى. ومهما حدث من لآلى ضوئية ليلية مصطنعة. فمازلنا نقرأ كل صباح أعداداً لا تنتهى من حوادث الانحراف التى يتركز ارتكابها فى الفترة المسائية، حيث توجد ثغرات ومنافذ تمثل مناخاً مازال صالحاً لارتكاب أعمال الشر والأذى: ولا يعرفها سوى خبراء الشر وحدهم الذين يرشدهم شياطينهم إليها.

ونتيجة للأهمية الخاصة لذلك الموضوع، فسوف نعرض عدداً من الأدلة الشرعية التى يدعم بعضها البعض، بدءاً من نصوص القرآن الكريم الذى يمثل المصدر الأول للتوجيه الإلهى ثم يتم الاستعانة بمزيد من الأدلة الشرعية الإضافية النابعة من كنوز السنة الشريفة.

فقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ (يونس: جزء من الآية ٦٧). وفى سورة النبأ نحصل

على صورة أكثر وضوحاً وتكاملاً في الإرشاد عن كيفية تخصيص الوقت حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا: ٩-١١). ويتضح من الآيات الكريمة بمنتهى الدقة والوضوح أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون النوم هو الوسيلة الأساسية لتجديد النشاط، وبالتالي، فقد أرشد الله سبحانه وتعالى الإنسان الذي خلقه إلى أن أفضل وقت للنوم هو ذلك الذي تهدأ فيه الحركة والسعي في سبيل المعاش، ذلك السعي الذي يحدث بدوره أثناء النهار، بينما جعل الله سبحانه وتعالى الليل مظلماً أسوداً لكي يصبح ملائماً كوقت للخلود إلى الراحة والسكون والكف عن الحركة الدءوب التي عادة ما تتم أثناء النهار المنير المشرق.

والواقع أن الإسلام تضمن في توجيهاته في سبيل التخصيص الأمثل للوقت أن لا يجعل الليل كله نوماً فقط، لكنه وجه الإنسان إلى أفضلية تخصيص الثلث الأخير منه -على وجه الخصوص- للتعبد وللقيام حيث تسكن الحركة وتهدأ النفوس وتصبح أكثر صفاء واقتراباً من الجو الروحاني الجميل. وصدق الله في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر: جزء من الآية ٩).

أما عن استحباب الاستقرار في المنزل ليلاً، فقد أشار أكثر من حديث نبوي شريف إلى ذلك. فقد قال النبي ﷺ: «أقلوا الخروج بعد هداة الرجل، فإن لله تعالى دوابَّ ويثهن في الأرض في تلك الساعة»

(عن جابر، أحمد بن حنبل، داود، والنسائي، في الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ١١٨٤). وهنا تتأكد علة كراهية الخروج ليلاً وهو انتشار الدواب الضارة بالخارج. ونتيجة لعمومية مضمون ذلك الحديث الشريف، يمكن أن نتأكد من أن انتشار الدواب الضارة يكون في وقت الليل وذلك نتيجة لقلّة السيارة في الطرقات وليس نتيجة للظلمة الحالكة فقط. وتؤكد خطورة ذلك الضرر المرتبط بوقت الليل من حديث آخر عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إذا غربت الشمس. فكفوا صبيانكم، فإنها ساعة تنتشر فيها الشياطين» (الطبراني الكبير. في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٦٩٢). كما يقول رسول الله ﷺ: «إذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم. وأغلقوا الأبواب. واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً. وأوكوا قربكم. واذكروا اسم الله، وحمروا آنتكم، واذكروا اسم الله. ولو أن تعرضوا عليه شيئا وأطفئوا مصابيحكم» (عن جابر، أحمد بن حنبل. والصحيحين وداود والنسائي وصحيح الجامع الصغير وزيادته. ج ١. ٧٦٤). بل لقد نهى الإسلام عن دفن الموتى ليلاً إلا في حالات الضرورة. فعن جابر أن النبي ﷺ قال: «لا تدفنوا أمواتكم بالليل إلا أن تضطروا» (ابن ماجه في صحيح الجامع الصغير وزيادته. ج ٢. ٧٢٦٨).

وفي حديث آخر، ينصح الناس بممارسة أعمالهم المعيشية وقت النشاط واليقظة مع التوقف عن ذلك حال الشعور بالنعاس والكسل حتى إن كان ذلك متعلقاً بالعبادة؛ لأن أى عمل في ذلك الوقت سيأتى بنتائج عكسية سيئة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدين يسر، ولا يشاد الدين أحداً إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة» (البخارى والنسائي، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ١٦١١). وكما جاء في رياض الصالحين للإمام أبي زكريا يحيى الدمشقي (ص ٦٨) في معنى ذلك الحديث، فإن الغدوة تعنى سير أول النهار، والروحة تعنى السير آخر النهار، والدلجة آخر الليل. وفي ذلك استعارة وتمثيل معناه: استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال وقت نشاطكم و فراغ قلوبكم بحيث لا تسأمون من العبادة، وتبلغون هدفكم من تلك العبادة، بالإحساس بالاستلذاذ بها، وذلك مثل المسافر الحاذق الذى يسير في هذه الأوقات ويستريح هو ودابته في غير تلك الأوقات، وبالتالي يستطيع أن يصل إلى المقصود بغير تعب.

هذا، وقد وردت أحاديث أخرى متعددة تؤكد على وجوب التوقف الفورى وقت أن يشعر الإنسان بالتعب، إلا أننا نفضل الاكتفاء بما تم عرضه تجنباً للتكرار المترکز على زاوية بحثية واحدة.

رابعاً: أوقات مفضلة لبعض الأحوال: وقبل أن نتقل إلى جزئية جديدة من التوجيهات الشرعية لكيفية التخصيص الأمثل للوقت، نود

أن ننوه في ذلك المقام إلى أنه قد وردت بعض الأحاديث النبوية الصحيحة التي يمكن أن تفيد الإنسان في اختيار أنسب الأوقات للقيام ببعض الإنجازات الخاصة، فعلى سبيل المثال يرشدنا أحد تلك الأحاديث الشريفة إلى أن يوم الخميس هو الأفضل للسفر. فعن أم سلمة «أن النبي ﷺ كان يستحب أن يسافر يوم الخميس» (الطبراني الكبير، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٤٩٥٠). وكان النبي ﷺ الذي يمثل القدوة المثلى لكل المسلمين يفضل إذا كان موجوداً بمنزل ما ألا يغادره قبل صلاة الظهر. فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يصلي الظهر» (أحمد بن حنبل، داود، النسائي، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٤٧٩٣).

وفيما يتعلق بالغزوات، فقد كان أفضل وقت للبدء فيها هو وقت زوال الشمس؛ فعن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ «كان يعجبه أن يلقي العدو عند زوال الشمس» (الطبراني الكبير في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٤٩٨٧).

٣/٣: العبادات كوسائل لتنظيم الوقت والأعمال: اعتاد الناس - ومن بينهم المسلمون أن يحددوا أوقات أعمالهم ومعاملاتهم ومقابلاتهم مع الغير، وغير ذلك من السلوكيات والمواعيد والأنشطة. وفقاً للوحدات التقليدية لقياس الوقت الزمني والتاريخ مثل الساعة ومشتقاتها (الدقائق والثوان.. والفيمتو ثانية)؛ والسنة ومشتقاتها (شهور، وأيام).. الخ، وهذا شيء لا غبار عليه، وليس محرم دينياً. ولا